«تاريخ بيروت» لسمير قصير في ندوة جمعت مثقفين متنوعين:

حين دفعت المدينة ثمن الحداثة المتقطعة!

بيروت ـ «القدس العربي»

من ناظم السيد:

نظّمت مؤسسة قصير ومكتبة البرج ندوة حول كتاب «تاريخ بيروت» للصحافي سمير قصير، أحد الذين طاولتهم الاغتيالات السياسية في لبنان منذ اغتيال الرئيس رفيق الحريري. وكان الكتاب الذي نشر عام 2003 بالفرنسية، ترجمته ماري طوق الى العربية وصدر عن دار النهار. الندوة التي قدّمها الروائي إلياس خوري، شارك فيها كل من عاصم سلام، كارلا إدة والشاعرين عقل العويط وعباس بيضون. المنتدون قدّموا كلماتهم التي تنوّعت، تفصلهم أمتار قليلة عن ساحة الحرية حيث نصب متظاهرو المعارضة اللبنانية خيمهم العديدة منذ أكثر من شهر.

في قاعة صغيرة امتلأت بالحاضرين الذين اضطروا الى الوقوف، أقيمت الندوة. وقد حضرها اضافة الى أرملة الشهيد قصير، الإعلامية جيزيل وزوجة النائب وليد جنبلاط نورا جنبلاط، عددٌ من المثقفين من شعراء وصحافيين أمثال شوقي بزيع، محمد علي فرحات، يحيى جابر، جمانة حداد، إضافة الى النائب السابق حبيب صادق (رئيس المجلس الثقافي للبنان الجنوبي)، الكاتبة مي منسى، الكاتب الصحافي محمد علي الأتاسي، المحلل السياسي طوني فرنسيس والدكتور ماهر جرّار وآخرين.

بداية تحدّث عاصم سلام عارضاً للعاصمة حياتها وحياة أبنائها في فترة الحرب الأهلية حين تم تقسيمها الى عاصمتين: بيروت الغربية وبيروت الشرقية، قبل أن يختم بالحديث عن إعادة الإعمار، ولا سيما وسط المدينة الذي بات يُدعى بعد إعادة الإعمار هذه «الداون تاون»، معتبراً أن هذا الوسط الجديد يحتاج الى انخراط في النسيج الاجتماعي. في كل حال، لم تتطرق الكلمة الارتجالية للكتاب بقدر ما تطرقت للمؤلف.

المؤرّخ يروي

الشاعر عقل العويط قدّم مداخلة بعنوان «كاهن بيروت»، ركّز فيها على الدورين اللذين لعبهما المؤلف في الكتاب: المؤرخ والروائي. أو لنقل إنه المؤرخ بلغة روائية وتفصيلات روائية. وهذان الدوران غالباً ما اختلطا في الكتاب. لكن هذه النقطة بالذات، التاريخ والرواية، كانت ميزة الكتاب ومحل المديح بحسب ما أرادت إيصاله كلمة عقل العويط: «تأريخ المدن، كما التأريخ مطلقاً، ومعه التاريخ المجتمعي والاجتماعي، ليس ثبتاً لوقائع وحوادث فحسب، إنما هو استدراج للتأويل التأريخي، البشري والمدني والأهلي والفكري والثقافي والاقتصادي والسياسي. وهذا عين ما يفعله سمير قصير في «تاريخ بيروت». شيء من هذا الكتاب، يجمع بين التاريخ والرواية، بين المؤرخ الأكاديمي والروائي الخلاق، يفتح الباب على نوع ثالث، هو ذاك وهاتيك، هذا وهذا، معاً وفي آن واحد. حتى لتأخذني المقاربة الثقافية والنقدية المفتوحة، في بعض لحظة، الى القول بأن «تاريخ بيروت» هو رواية الحاضر بقلم روائي، بقدر ما هو تاريخ الماضي بقلم مؤرّخ».

من الحديث عن الكتاب الى الحديث عن الكاتب، انتقل العويط مقدّماً سمير قصير، هو الذي عرفه عن قرب، وكلاهما ابن «النهار» بما يعني هذا النسب من ميل لبناني وتمسك بالعروبة ونضال في سبيل الحريات على أنواعها: «أكاديمي وباحث وناظر وطالب معرفة، وهو مثقف وخلاق وكاتب ومؤولّ وناقد، وهو أيضاً رؤيوي وحالم. وهو أيضاً قلم نزق وفتنة. وهو كبيروت هذه نفسها، كوزموبوليتي، متعدد ومتنوع ومنفتح، لبناني مشرقي عربي إنساني، ومقيم أمام هذا البحر، ووراءه هذا الجبل، بالطبع وبالتاريخ والجغرافيا وواقع الحال».

وتابع العويط مقدّماً صورة عن المثقف الحديث، أي سمير قصير: «هذا المثقف الحديث لم يعد في إمكانه، على قول آلان تورين، أن يكون الشخص الذي ينظّم المطلق تنظيماً تقنياً، متحدثاً باسم سرٍّ مفارق، هو نظام الآلهة، والأفكار، والتاريخ. ذلك أن المثقف الحديث هذا، يجرفه النظام الاجتماعي، أي سرّه، وهذا يتطلب معارف، ويتطلب خصوصاً الأدلة والبراهين. وهي هنا كثيفة وعالية الشأن ومرهوبة الجانب، وتنطبق تماماً على حال هذا الكتاب، وعلى حال واضعه، وتفتح باب هذا النوع من التأريخ على التأويل. لا يقتصر هذا الوصف على صورة سمير قصير كمؤرخ مثقف، أو كمتفحّص للناس والحوادث وسياقاتها، أو كناظر في أحوال الثقافة البيروتية، أو كمنقب في بعض الجوانب الإبداعية. هذا الوصف يطاول المفهوم، والكتاب برمته، حتى تلك الجوانب التي تأخذ بالمعيار التأريخي نفسه بالذات، أو تتعاطى شؤون البشر والشجن المجتمعي أو سلّم السياسة البحتة».

وأضاف العويط متحدثاً عن الطريقة التي قارب بها الشهيد قصير التاريخ والمدينة: «هذه الأفكار والأزمنة المؤرخة، التي يدرجها سمير قصير في كتابه عن بيروت، أكانت جوهرية في الغالب أم أولية ونافلة حيناً، متكاملة أم ناقصة، مقتصدة أم مستفيضة، هي التي تدعونا الى أن نحتفي بقراءة كتابه، وتدوين اسمه في سياق التراكم التاريخي الخلاق الذي يجعل من بيروت مدينة كوزموبوليتية حديثة، تصنع تجددها على الدوام، وتكون غير قابلة للموت. شأن لبنان. هذه سمة من سمات الحداثة البيروتية واللبنانية المتواصلة، ومن سمات كهنتها والمجدّين، والتي أخذت بتلابيب سمير قصير، حتى ليصحّ بي أن أضعه، هو خصوصاً والآن، في خانة هؤلاء الذين يواصلون فكرة هذه المدينة، وتأجيجها، كمكان اختباري، حر، متنوع، قلق، ناقد، ناقض، توّاق، شغوف، ناقص، وباحث عن الازدياد بالآخر، حيث الأشياء النافلة والأولية فيه، تتحول وتتخالط، بل تشرب سموم المكان الكيميائية الخلاقة، لتولد منها أشياء غير نافلة وغير أولية، تتيح للتاريخ أن يصير رواية، وللمؤرخ أن يصير روائياً، أي شخصاً خلاقاً».

وإذ اعتبر العويط أن قصير جعل التاريخ «إنسانياً وشخصياً، ومستمراً في الحاضر»، أكدّ أن «الخروج بالتاريخ الى الحاضر، فعل دقيق ومحفوف بالرؤى والمنزلقات والغوايات، لكنه خروج الى الحداثة، بما هي فعل غير منغلق، ما دام يتحقق الآن، لكن بالتاريخ نفسه».

كارلا إدة بدورها قدّمت مداخلة استهلتها بتعداد بعض الهفوات البسيطة في الكتاب من مثل أن أيوب ثابت بروتستانتي وليس مارونياً، أو القفز على بعض المفاصل التاريخية مثل علاقة المدينة بالأمراء الشهابيين والمعنيين. وإذ وجدت إدة أن الكتاب ذهب الى أن ما صنع بيروت هو عروبتها أكثر من كل هوياتها الأخرى، دعت الى إيلاء الجانب اللبناني أهمية أكثر في صناعة بيروت. بعد هذا التقديم السريع والعرضي في المداخلة، انتقلت الى عرض الكتاب بفصوله التي تؤرخ للمدينة منذ زمن إبراهيم باشا الى ما بعد الحرب الأهلية، أي زمن السلم وإعادة الإعمار التي تعرّضت للنقد من كثيرين بالطريقة التي تمت بها، ولا سيما إعادة إعمار الوسط التجاري الذي بات يدعى «الداون تاون» كما أسلفت. تأريخ لم يطل السياسة بقدر ما فصلّ ما تحت السياسي، هناك حيث يتحرك الناس باجتماعهم وطرق عيشهم وعلاقاتهم وتجاراتهم وموارد رزقهم. وقد طاول التقسيم بيروت التجارة ومراكز القناصل والإرساليات، مروراً بـ«عهد الانتداب»، وصولاً الى الخمسينات والستينات، زمن الحداثة من مجلة «شعر» ومنشورات نزار قباني (في بيروت) ومحمود درويش وتظاهرات الشارع العروبي والودائع الخليجية ومرفأ بيروت الذي ساهم في ازدهار العاصمة بعد إغلاق مرفأ حيفا إثر هزيمة 1948، الى بيروت الحرب الأهلية وانتهاء بالسلم الأهلي.

سمير قصير

نموذج بيروت وعجز الوطن

الشاعر عباس بيضون كان آخر المتكلمين. كلمة أضاءت الكتاب ومارست فعلها النقدي تجاه تاريخ المدينة والبلد عموماً. البداية كانت خاصة: «حين وصلني (تاريخ بيروت) في أصله الفرنسي أجلّته. قلت هذا كاتب شاب ويستطيع أن ينتظر. ما كان في ظني أنه كتاب الوداع ولا خطر لي أني بعد وقت سأنظر إليه بتهيب كما لو كان مدفناً رمزياً».

بعد هذا انتقل بيضون الى الحديث عن الكتاب ومؤلفه بموازاة الحديث عن تاريخ اللبنانيين: «يخيّل إليّ أن سمير في كل هذه التواريخ التي كتبها كان يؤرّخ لنفسه أولاً. إنها مهابطه وسيَر ما قبل ولادته التي جعلته يتوسع في تاريخ فلسطين ولبنان.... فالكتابة بما في ذلك التواريخ هي اصطدام جسدي عقلي روحي. بيروت وهي تتكون اقتصادياً وثقافياً وعمرانياً هي جسد سمير التاريخي والثقافي الكبير وهو يجد فيها حفريات حياته وثقافته وشخصيته. ولنقل إنه يجد فيها على نحو ما روايته العامة».

وتابع بيضون موسّعاً النقاش: «تاريخ بيروت تاريخ حديث للغاية وليس تأريخاً فحسب كما هو أغلب تواريخنا، أي انه ليس سجل وفيات للواقع بقدر ما هو تمثّل وتشخيص له في طبقاته المتراكبة الموصولة، وإذا كنا نقرأ هنا تطور العمران والمعاش والحياة اليومية فإننا حيال تاريخ نادر في كتابتنا. سمير تنكب الصعب كما يقال. لقد دخل الى التاريخ من حيث لا نكاد نجد تاريخاً، ودبّج 600 صفحة تقريباً من تفاصيل لا نتعجب من أنه وجدها فحسب ولكن من كونه رتبها وفرشها حجراً حجراً على فسيفساء شاسعة... إذ قبل المؤلف وقليل سواه ما كنا نأخذ الفكرة بجد. ولسنا نسيء الى أحد إذا قلنا إن تاريخنا السياسي جزء من فولكلورنا أكثر مما هو جزء من علومنا. إنه كما يبدو لغير المختصين مثلي، مكتوب بحبر العصبيات الخاصة والعامة والذاكرة الشعبية والأسطرة الساذجة. لعلها مسألة أيديولوجية أن لا نصدّق تاريخنا أو لا ندخله في منظوراتنا. نترفه بقراءته وروايته ولا نقيم بيننا وبينه أي اتصال... لا يتكلم «تاريخ بيروت» عن ولاة ومقاطعجية ومشايخ صاروا في وهمنا سلاطين وصنّاع تاريخ بل يتكلم عن التاريخ الحي وأهله الحقيقيين. ولنقل إن من عماوتنا الإيديولوجية أننا لا نصدّق أن لنا تاريخاً ونؤثر عليه أن نكون سقطنا من كُم أسطورة ما أو مبدأ أعلى أو جوهر أو معجزة. أما تاريخ سمير قصير فلا يمكننا إنكاره ما دام ماثلاً في لباسنا وطعامنا ويومياتنا ومعاشنا».

من جهة أخرى ذهب بيضون الى أن كتاب قصير يجعل بيروت رأس حربة الحداثة في المنطقة، لكنها حداثة تقابلها انتكاسات وردات كثيرة غفل عنها الكتاب: «تاريخ بيروت هو تاريخ هذا التحديث وهو مرافعة عن المثل التحديثي في الشرق كله. شغف سمير قصير يغلبه هنا فهو يقدّم بيروت أمثولة للعالم العربي ولبلدان الشرق، لكن النموذج التحديثي متفاوت، والبقاء عنده جعل في الغالب الجانب المقابل من الحياة البيروتية في الظل، مع ذلك فإن تاريخ بيروت هو تاريخ التشابك والتفاعل والمحاكاة، وهذه تعني أن بيروت على هذا المستوى قادرة على أن تقدّم تاريخاً وتقدّم نموذجاً وتقدّم تجربة جامعة. ما يبدو أن الوطن إذا تكلمنا في السياسة عاجز عن تقديمه».

ويكمل بيضون: «شاء سمير أن تكون الحداثة هوية بيروت وربما هوية لبنان. إذ قال سمير إن الطائفية كما هي اليوم ضريبة الحداثة، فإنه يعلم أن للحداثة ضرائب أخرى لا نتوقف عن دفعها... لا يزال الدفاع عن الحداثة أوجب من نقدها عند سمير قصير. لعله هنا يظهر عن طبعه النضالي. لكن حسه التراجيدي مع ذلك كبير، فهو مثلما تعجب في تأملاته عن الشقاء العربي من أعجوبة انقلاب كل ما هو إيجابي وبناء في تجارب الشعوب، سلباً ووبالاً علينا، لا يأمن في خاتمة كتابه من أن تنقلب بسمة بيروت الى شقاء».

أعداء المجتمع المنفتح: أفلاطون وهيغل وماركس

بقلم : روني بوفريس.
ترجمة: د. سعيد بوخليط

■ على اعتبار كون أفلاطون وهيغل، ملهمين للرومانسية التوتاليتارية، فإن بوبر سيأخذهما كخصمين، قبل أن يهاجم ماركس أخيرا في: «المجتمع المنفتح». لقد تحولوا بشكل مغلوط تاريخيا إلى منظرين سياسيين للحقبة الحالية، متهمين بعدوانية على أساس استشهادات منفصلة، فإنهم قلة الفلاسفة الذين عوملوا بقسوة كما هو الشأن في العمل الحالي مع منظري ملكوت الفلسفة.

هذا الوضع يفسره أولا كون بوبر، الذي فهم مشروعه في اليوم الذي توصل فيه بخبر من L'anschlass اعتبر كتابه المكتوب ما بين 1943/1938 كـ«مجهود حرب» اتجه بعمق من خلاله إلى الفاشية والنازية. لكن مع ذلك، يؤكد بوبر مع أفلاطون ـ أعجب به على العكس من هيغل ـ بأن «أعظم الرجال هم الذين يمكنهم ارتكاب أكبر الأخطاء». وأن عبقرية الفيلسوف لا تشفع له توتاليتاريته بل تجعلها أكثر إثارة وضررا: من هنا ضرورة دحضها دون التباس من خلال التخلي عن الصراع التقليدي المرقش مثلما هو الحال مع الصراع الفلسفي.

بالقطع مع التقليد الجامعي الذي اعتبر بأن الفلاسفة الأولين يحميهم قدمهم، والخاصية الساذجة شيئا ما لبعض النظريات التي تتموضع عند حافة الأسطورة، وكذا نفوذ المثاليين الحالمين المسالمين كما منحهم ذلك التقليد، فإن بوبر لا يبحث إذن في أفلاطون إلا قدر ما يمكنه الظهور، وبعض أشكال الهجوم لم تكن إلا تقديرا مضمرا.

نذكر أيضا، أننا نقصد بالتوتاليتارية نظاماً سياسياً تدير فيه الجماعة بشكل سيادي المجتمع وتمارس ضبطا مطلقا على الأفراد وأنشطتهم الاجتماعية (المميزات: وجود حزب وحيد، انصهار السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية ... إلخ). حيث تشكل هنا التوتاليتارية حسب برنار هنري ليفي «نشاز مجتمعاتنا الحالية»، في حين تعتبرها حنا أرنت ظاهرة معاصرة بشكل مطلق، على العكس من ذلك فإن بوبر يعتقد بأنه يستمد إلهامها الأصلي من عمل أفلاطون. الفرق الوحيد الذي يقربه بين «التوتاليتارية القديمة» و«التوتاليتارية الحديثة»، يرتكز على الطبيعة الوازنة والجماهيرية للتوتاليتارية الحديثة، القادرة على تعبئة شعوب بأكملها حول تنبؤاتها.

لنوقع أولا أفلاطون في حقبته: شهدت أثينا في عصر بيرقليس ميلاد نموذج «المجتمع المنفتح». كانت الأرستقراطية في قمة انحطاطها، وفرضت الطبقات الشعبية الديموقراطية.

تنفتح أثينا على الخارج، تقبل الأجانب، حيث تمثل أمبرياليتها علامة عن كونية جديدة. لكن وبشكل خاص، فإن الفكر النقدي وجد أول ممثليه مع السوفسطائيين ولا شك سقراط أكثرهم عمقا.

بوبر يقدر سقراط بعمق ويرى فيه رائدا ومبشرا بـ«العقلانية النقدية». سقراط ديمقراطي ملحاح، ضحى بحياته ليؤكد على أولية الخضوع للقانون. إنساني أعلى من شأن اللاعنف، ملتمسا بأن لا تكون الفردانية فقط سلبا، ثمرة انحلال «المجتمع المنغلق».

سقراط مبدع خاصة لمطلب الإصلاح الأخلاقي الفردي. كونه حكم عليه بالموت، يقوم على التباس ـ توخى الاثينيون عن طريقه مهاجمة أتباعه القدامى (أليسبياد، كريتياس، شارميد)، الذين خانوا أثناء حرب Péloponnèse ـ فلا يجب تضخيم ذلك.

سقراط قريب أساسا من متهميه، أكثر من الذين انتسبوا إليه بعد ذلك، أي المحافظين الذين ينحدرون من الطبقة النبيلة، يحتقرون الديموقراطية ويحلمون بأن يعيدوا لطبقتهم سيادتها. من بينهم أشخاص لامعون مثل Périclés و Thucydide إضافة إلى شاب ارستقراطي إسمه: أفلاطون. لم يكن مطلقا هذا الأخير، بمتمم لسقراط إذا أمكن تحديد واحد، فإن بوبر يشير إلى صديقه القديم : le mégarique antisthéne ـ بل على العكس، انقلب على الديموقراطية. هذا الموت نفسه توخى منه سقراط أن يكون تقديرا للديموقراطية.

في الواقع، لا يرى أفلاطون في حقبته، من خلال صراعاتها الطبقية العنيفة وكذا حروبها الأهلية بين المدن اليونانية إلا انحطاطا، متحسرا على كبار أرستقراطي كريت وسبارطة وعشائريتهم الثابتة. ما سيقترحه هو المخطط الأكثر نسقية لكي نجد ثانية وبدعم من الشعب الذي إليه يوجه دعايته، أو مع الديكتاتوريين المستنيرين مثل سيركوس، الإيقاع التراتبي لـ«المجتمع المنغلق».

فيما يخص قضية تأسيس الجمهورية، فإن الدولة المثالية هي تلك التي يقبل فيها كل واحد بمكانه داخل الكل، أي في الواقع دولة تقوم على التراتبية الأكثر صلابة، والاختلافات الأكثر صرامة بين الطبقات. حراس، محاربون وعمال ينفصلون بجلاء. لكن التعارض في حقيقة الأمر يوجد خاصة بين الرؤساء ومرؤوسيهم الذين ينظر إليهم كـ«قطيع» يتم احتقاره وقيادته بقسوة. حالة التراتبية هاته مثل كل شيء، مهددة بالانحطاط.

يجب إذن السعي إلى تجنب أن تنحل كما رأينا دائما إلى غاية الآن، بقنوات قبيحة أكثر فأكثر للتيمقراطية والأوليغارشية والديموقراطية والديكتاتورية أخيرا.

الحل الذي قدمه أفلاطون بسيط. حتى نبقي عند ما يسميه بوبر بالسوفوقراطية، فإنه من الضروري تجنب الصراعات داخل الطبقة المهيمنة. هذا يقتضي من جهة، أن لا تشارك هذه الطبقة في الأنشطة الاقتصادية. ومن جهة ثانية، شيوعية المحاربين. من ناحية أخرى كذلك، عليها إقامة نظام تربوي لا يترك أي مكان لملكات النقد الحر ومشكلة نخبا لمهماتها من خلال توجيه لكل اللحظات. أخيرا، تحافظ بصرامة على النقاء العرقي للطبقات وذلك بالحيلولة دون أي اختلاط. بهذه الشروط، يمكن الحفاظ على انسجام الطبقة المهيمنة. والثورات لا يمكنها الحدوث، إلا إذا تم خرق هذا الانسجام، وبالتأكيد تجنب أي خطر ثوري.

حتى تكون النظرية كاملة، فإن أفلاطون يحدد مبادئ أدب السياسة. لا يجب أن تلتبس عدالة الجمهورية المثالية بالعدالة كما يدركها الديمقراطيون.

تتحدد هذه الأخيرة بثلاثة معايير أساسية : أولا التعويض المتساوي عن عبء المواطنة. ثانيا معاملة المواطنين بالمساواة أمام القانون، ونزاهة المحاكم. ثالثا، اقتسام متساو للمنافع التي يتيحها العيش المشترك. وبمفارقة كلية، فإن العدالة المثالية حسب أفلاطون، ليست قط مساواة في التعامل مع الأفراد، بل تتحدد فيما هو أساسي للدولة، أي ما يضمن استقرارها.

مع تأكيده على عدم أهمية الفرد، وعليه بالتالي التضحية لصالح الدولة، فإن أفلاطون، هو أكبر منظر للتوتاليتارية. عمليا، تفترض فائدة الدولة كذلك بحسب أفلاطون الإبقاء على التفاوتات، والخضوع لنظام صارم جدا. ثم حق المسؤولين في مراقبة الحقيقة وممارسة الكذب كذلك.

بالنسبة لبوبر، فإن العقلانية الأفلاطونية ليست في العمق إلا دفاعا لا عقلانيا ضد الخوف من الزمان. منظور كهذا، يمكن بطبيعة الحال أن يكن موضوع نزاع وبالتالي فإن بعض المؤرخين لم يترددوا في القيام بذلك: ليس أفلاطون توتاليتاريا محافظا، إلا إذا قبلنا المنظور البوبري لصراع دائم بين الديموقراطية والاستبداد، والذي لا يمكن أن يكون بالنسبة لحقب كثيرة إلا مفارقة تاريخية. ستظهر مثاليته أقل رجعية، ما إن تتموضع في إطار منظور آخر.

يبقى أن نظهر، بأن عبقرية أفلاطون ترتكز خاصة على قدرتها في إظهار وإثارة محاولات لا عقلانية. لذا قدم بوبر أحد الانتقادات الأكثر قوة ضد استيهامية العالم المثالي منذ تلك التي جاء بها نيتشه.

Renée Bouveresse : le Rationalisme critique ـ 1
PP 25/28. de Karl Popper. Ellipses : 2000,

إصدارات

«عيون الكبرياء».. مجموعة قصصية جديدة للقاص عطية صالح الأوجلي

طرابلس ـ «القدس العربي»:

صدرت عن منشورات المؤتمر بطرابلس مجموعة قصصية جديدة للقاص عطية الأوجلي بعنوان «عيون الكبرياء». تضم المجموعة اثنتي عشرة قصة قصيرة تنوعت مواضيعها ما بين المحلي المستمد من الحياة اليومية والعالمي المستمد من حياة مناضلين مثل مالكولم اكس ومارتن لوثر كنغ وأريل دورفمان بالإضافة الى القصص ذات النفس الصوفي.

تقع المجموعة في 65 صفحة من الحجم المتوسط، ومن عناوينها «الرجل الشجرة، الرحلة، سيد الموقف، صوت الناس، برتقالي، عفوا هدى، أصفر، عيون الكبرياء، زهر الليمون، أحمر، موسوليني، وسهرة عائلية.»

تمتاز كتابة الأستاذ عطية بلغة إبداعية مشرقة، وأسلوب سهل ممتنع، وتقنيات سردية مزجت أسلوب التوثيق بتقنيات السرد ومزجت بين الخيال والواقع، كما امتازت المجموعة القصصية بتنوّع موضوعاتها وغرابة حكاياتها. ففي «الرجل الشجرة»، تطل علينا كلمات معهودة لتخطف حواسنا وتنقلنا في رحلة مع الغربة والأشجار وتركب القصة أحداثها كقطع ألغاز الصور المتقطعة لتثير الخيال والإدراك ولتتركنا أسرى التساؤل المثير... أما في قصتي «الرحلة» و«زهر الليمون» فنحن نغوص في العالم المثير للصوفية حيث ترتدي الكلمات الالتباس والغموض معنى لها. أما قصص «موسوليني» و«سهرة عائلية» و«سيد الموقف» فهي مستمدة من الواقع الليبي وتمتاز بروح الدعابة وبساطة الأسلوب.

في «عيون الكبرياء» يمزج الكاتب تقنيات التوثيق مع الخيال السردي ليروي لنا صورا من حياة المناضل الكبير مارتن لوثر كنغ وزوجته كوريتا كنغ ويكرر نفس التقنية مع المناضل والكاتب آريل دورفمان الشهير بمسرحية الموت والعذراء والتي يتناول فيها القمع والتعسف ببلده تشيلي ابان حياة الديكتاتور الشهير بنوشيه.

الملفت للانتباه في هذه المجموعة استغلال الكاتب للألوان لسرد قصصه فبرتقالي تحكي لنا عذابات غوانتانامو بمزج قصة حقيقية لسجين باكستاني مع رسائل متخيلة لاثنين من حراس السجن. أما اللون الأصفر فيستعمله الكاتب لسرد قصة رومانسية وهو توظيف غير معهود للون الأصفر.

أما اللون الأحمر فقد تم توظيفه للإشارة إلى حياة مالكولم اكس. وبالرغم من أن تناول حياة المشاهير يمثل تحديا لأي كاتب وقد يدفع به نحو التقريرية أو الخطابة، إلا أن القاص عطية الأوجلي قد تمكن ببراعة من تفادي ذلك وقدم لنا قصصا مشوقة.

يعود الكاتب ليستخدم اللون مرة أخرى في قصة «عفوا هدى» للحديث عن واقع الفلسطينيين والعرب الذي انعدمت فيه الألوان.

«حوار الحفاة والعقارب» لنصري الصايغ

بيروت ـ «القدس العربي»:

صدر عن شركة «رياض الريس للكتب والنشر» (بيروت) كتاب جديد للمفكر نصري الصايغ بعنوان: «حوار الحفاة والعقارب ـ دفاعا عن المقاومة».

يتألف الكتاب من اهداء، و«مقدمات متقاطعة» تليها ثلاثة فصول تنقسم بدورها الى موضوعات (مستقبل المقاومة ـ المقاومة بديلا للجيوش ـ حوار الحفاة والعقارب دعوة حبية الى الانتحار ـ متى تشرع المقاومة ابوابها ـ وداعا للسلاح ـ حكايات ابريق الدم ـ سفر الحروب ـ الحرب شر لا بد منه ـ دين المقاومة ـ المقاومة قبل العمامة ـ الى «السيد» بغير قلمي).

تحت هذه العناوين يدقق المؤلف بالتاريخ قديمه وحديثه ويراه قائما على حروب لا تنتهي ليستخلص ان «الحرب تحيط بنا من كل جانب. كانت قبلنا وهي معنا الآن، وستكون مستقبلنا فيما بعد».

ويقول المؤلف في احدى «مقدماته المتقاطعة»: «لم هذا الكتاب؟

تغير العالم كثيرا: قررت امريكا احتكار حق الامرة، وعلى الاخرين الطاعة او الندم: «انا روما فاتبعوني». واختارت امريكا اعداءها، ووجدت في «الشرق الاوسط» حقلا لرمايتها وتنفيذا لمجازر «الفوضى البناءة» في العراق وفلسطين ولبنان.. والبقية آتية. تغير العالم وفقدت الجيوش النظامية دورها وباتت عاجزة عن المواجهة، او حماية قرار المانعة.

فمن يحمي مصالح الدول المستضعفة والفقيرة؟ من يدفع عنها تهمة تلصق بها عنوة: الارهاب او اسلحة الدمار الشامل؟

هذا الكتاب يحاول الاجابة، من خلال التجارب التاريخية والراهنة، مقترحا المقاومة، بكل ادواتها، بديلا للجيوش، في استراتيجيات الدول المستضعفة، لعله، بالمقاومة يتغير العالم، بطريقة اخرى، ويصير اكثر احتراما للحق والحرية والعدالة».

الكتاب يقع في 200 صفحة من الحجم المتوسط.

جمهورية الرمل

فاضل العزاوي*

1

مطرودا من جنة آدم
شاهدت عبيدا بسياط يقتادون شعوبا
معولةً
تدّافع فوق صراط يمتد عميقا
في العتمة.

مرتبكا كومتُ ذنوبي
في ميزانهم الذهبي ورحتُ أغني
لأسلي نفسي

لكني حين سمعتُ الجلاد يناديني
بأصابعه كي يقطع رأسي
ألقيت الريح على كتفي
وفررتُ لأنقذ روحي
في محكمة لا ينجو فيها أحد أبدا.

2

متبوعا بكلاب تنبح خلفي
كان عليّ، أنا الحامل جرحي،
أن أمضي قدما
في الدرب الموحش وحدي
كي أبلغ أرضا
لم يبلغها أحد قبلي.

ليل أطفأ قنديله، فيما الأشباحُ
مشتتة في المنفى
تبعتني
وطبول قرعت في ماض أخرس،
معلنة بدء القصة.

3

في شاحنة ملأى برمال
ألفيتُ التاريخ أمامي

في وديانه أسست، أنا الشاعر، من طين
الجنة
جمهورية أحلامي

شيدت لنفسي وطنا
سلمت مفاتيحه، محكوما بالحب لمكتشفين
أتوني بالحكمة،
أنثرها في الصحراء،
نقشت بأزميل النار على بوابته إسمي
وملأت مداخله بالأشجار
ليفرح قلبي
أطلقتُ نجوما لا عد لها
وفراشات تومض في الليل
لتسلية الموتى في آشور
المتروكة في
الوديان
كتبت
قصائد
أيامي في
الرُقم
الأولى
وعلى
الأبراج
رفعت
بنفسي
علمي الوطني
لأدل الريح الى
بستاني
في كل ربيع.

4

في الصحراء رأيتُ قوافلَ
قادمة
من أبعد قارات العالم
كي تشرب من بئري

أعراب من ظلمة قلبي
خرجوا
جاؤوا
طحنوا قمحا بزؤان واستلقوا في
الخيمة قربي
تركوا في الوديان جمالهم التعبى
ترعى عشبي
أعطوني ميثاق حياتي
في صندوق مختوم
بطلاسم من سحر
الماضي
ومضوا
في الصحراءِ
ليبنوا مدنا أخرى
في رمل العالم.

2003

* شاعر من العراق يقيم في المانيا وهذه قصيده من ديوان "هنا فوق الكرة الأرضية" ضمن الأعمال الشعرية التي تصدر هذه الأيام في مجلدين يتضمنان 13 ديوانا للشاعر عن دار الجمل في كولونيا ـ بيروت